إهداء

إلى **حسن نصر الله**

زعيمًا مقاومًا وخطيبًا مفوّهًا وسياسيًا بارعًا

وإلى **جميلة بوحريد**

رمز من رموز النضال العربيّ الجزائري

وشاهدة على وحشية الاستعمار الفرنسي وبربريته

وإلى كل الثوريين العروبيين المؤمنين بأمة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج، والحريصين على إنقاذ الأمة من حالة التجزئة والتشظي والتشرذم، والتي وقعت في شركه وبراثنه !!! ولم تنفك عنه حتى الآن !!!

نجاح العشري

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة قد يظن الظان أنه لو حدث وتم الاستغراق في العزلة – في عهد عبد الناصر – والانكفاء على الذات والابتعاد عن شؤون العرب وأفريقيا !! كان ذلك سيجلب على مصر كل الخير ويجنبها الدخول في حومة الصراعات والحروب ، والتي أدت إلى بعض الانتكاسات والهزائم الممضة وعلى رأسها نكسة يونيو/ حزيران ١٩٦٧ ، والتي بدأت بوادرها وإرهاصاتها منذ حرب اليمن ؛ حيث أطلق عبد الناصر جنوده يهيمون بين دروب الجبال الشواهق وتيه الصحراء في اليمن..!! فما كان أحرانا أن نتجنب أن ينزف دمانا ، وأن يقتل جنودنا شر قتله في ريعان شبابهم دون أنّ يحققوا نفعًا أو يضيفوا مكسبًا.. وما أحرانا أنّ ننغلق على ذواتنا ننشئ المصانع ، ونبني الإنسان المصري على أسس حضاريّة ندافع عن حدودنا ولا يتوه جنودنا بين مجاهل الأقطار العربيّة.. وصراعات القبائل الأفريقية والاثنيات العرقية الأفريقية.. فلم نجن إذن من مد يدنا للعرب سوى الخراب والهزائم ، ولم نجن إذن من مد يدنا لحركات التحرر الأفريقي سوى حدوث نزيف للموارد، وضياع للأموال والعتاد دون طائل!! فلم نحصل – كما يرى هذا الرأي – من هؤلاء وأولئك سوى الفقر والمسغبة وضياع الموارد ، ولم نحصل على ما نصبو إليه ونتمناه...!!!

هذه النظرة «العوراء» للأمور فقدت بتسرعها وظنونها الرؤية الصحيحة للتاريخ وحقائق الجغرافيا ، فكانت تائهة هذه النظرة «الأحاديّة» في رؤيتها ..

فقد فقدت «بوصلة» الجغرافيا و«حقائق التاريخ».. فلم تكن مصر يومًا «منعزلة» ومنذ نشوء الحضارة الفرعونية على أرضها فقد امتدت حدودها الجغرافية خارج النطاق والتخوم المعروفة .. بل كانت الجذور العربية والأفريقية في صميم التاريخ المصري القديم – كما يقول ثقات المؤرخين والباحثين– وقبل أن تفتح مصر وتأتي القبائل العربية بعد الفتح – زرافات ووحدانا .. فكان التفاعل والتداخل سمة هذه المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج تنطق به الحفائر والآثار وأصول اللغة القديمة.. كما أن التداخل العربي القديم والأفريقي أكده العديد من المؤرخين الغربيين.. ومن ثمَّ كانت رؤية عبد الناصر للدائرتين العربية والأفريقية رؤية قارئ متأمل ودارس للتفاعلات البشريّة على جغرافيا الوطن العربي منذ العصور القديمة ، وفهم لإستراتيجية المنطقة وكوامن قوتها ، وصلابة جذورها.

صحيح أن الفتح الإسلامي لمصر أضاف بُعدين هامين من خلال هذا الفتح يتمثلان في انتشار اللغة العربيِّة ، وشيوع الدين والعقيدة في ربوع مصر وأرجائها.. كما أنّ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حسم بشكل قاطع عروبة مصر وانتمائها العربي ، وعظم من قيمة القومية العربيّة ، فخرج الأمر من نطاق الوطنية الضيق إلى رحاب الوطنية العربيِّة الممتدة.. بل امتد الشأن إلى الأفريقية الدائرة الهامة والمتداخلة مع العربيِّة في جذور التاريخ ، وصميم الجغرافيا ، فكان ما كان بسبب هذه النظرة الشاملة والرؤية العروبية «الحقة».

فقد كان تدخل جمال عبد الناصر وتدعيمه لحركات التحرر الوطني والثورات في الدائرة العربيِّة والأفريقية.. لم يكن حبًا في إظهار زعامته ،

ولا حرصًا منه على إبراز نفوذه الشخصي ، ولكن تفهمًا منه لحقائق التاريخ وفهمًا لصميم الجغرافيا ، ودأبًا على تصفية الاستعمار، وتحرير الإرادة للشعوب المقهورة ، والمغلوبة على أمرها.

وفي كتابنا ناقشنا هذه الموضوعات ، وغيرها في مدخل وأبواب ثلاثة ، فكان المدخل يتتبع جذور العربية والأفريقية داخل النسيج المصري القديم ، يؤكد على عروبية المنطقة منذ القديم من الزمن وتداخلها مع الأفارقة.

كما ناقشنا في الباب الأول تصور عبد الناصر وخطابه القومي ، وكيف صاغ رؤيته القوميّة ، وحرصه على وحدة الهدف، وتحقيق الوحدة ، وتثوير المفهوم القومي العربيّ.. وعرضنا في الباب الثاني إلى حقيقة اهتمام عبد الناصر بالدائرة العربية ، وتبنيه لحركات التحرر العربي في الجزائر ، واليمن، والعراق،والسودان، وحركة فتح لتحرير فلسطين.. إلخ، وكيف وقف مع الثورات ومناصرة القضايا العربية بقصد تحرير الإرادة والاستقلال ، ومناهضة الاستعمار والإمبريالية.

وناقشنا في الباب الثالث التدخل العربي والأفريقي بشكل يصعب دحض هذا التداخل «القديم» ، وكيف نظرت مصر لأفريقيا ، وحرص ثورة يوليو على تعظيم دورها الأفريقي الصحيح في تفجير الثورات الأفريقية ، ومساعدة حركات التحرير ومكاتبها السياسيّة ، وكيف كانت «القاهرة» هي أول عاصمة في العالم تجمع حركات التحرير مكاتبها من بقاع الأراضي الأفريقية والعربية على السواء.. وكيف كانت الإذاعات الموجهة والمرسلة إلى جميع الشعوب الأفريقية ؛ لتنير الطريق ، وتوضح حقيقة الاستعمار والإمبرياليّة .

وإذا كان لكتابنا هدف وهو تجليّة دور عبد الناصر في مساندة حركات التحرير العربي والأفريقي، ومناهضة الاستعمار الغربي، وما قام به «ناصر» من أدوار عالية الهمة ورائدة في مضمار التاريخ وحركات التحرير، وتفجير الثورات خلال عقدين من الزمان، فلم نكن نستطيع أن نحقق ما نصبو إليه، لولا أن أعاننا على الجهد صديقنا السيد العزوني الناصري «القُح»، وما مدنا به من كتب ومراجع علمية ومنهجية في إطار الموضوع، وصميم الدراسة.. كما ساهم د. رضا البهات بمناقشاته وقدراته الحوارية على تزايد حرصنا على إتمام هذا الكتاب.. فبدون هذا العون منهما كان الأمر سيسبب لنا رهقًا.. فلهما منا الثناء المستطاب والتقدير الجزيل.

وما يسعنا بعد ذلك سوى أن أذكر الفضل في أول الأمر وآخره يكون – دائمًا – لله العلي القدير، فهو المستعان على الصعاب والمشاق .. فله الحمد في كل وقت وحين.

نجاح العشري

٢١ من ديسمبر ٢٠١٠م

المنصورة: الثلاثاء

١٥ من محرم ١٤٣٢ هـ

مدخل لابُد منه

الجذور العربيّة والأفريقية في التاريخ المصري

((تأصيل وتعصير))

obeikan.com

obeikan.com

١

المرحلة القديمة قبل الفتح الإسلامي

يتفق العديد من الباحثين والمختصين في تقصي التاريخ القديم للمنطقة العربيّة على ترجيح الأصل السامي للمصريين مع عدم إنكار اختلاطهم بأجناس أخرى كالحاميين على سبيل المثال.. وهناك عدة آراء تذهب إلى أن الجنس السامي Samitism- Race وأحد فروع الجنس الحامي – Hamitic Race كانا متحدين في عصر ما قبل التاريخ Prehistoric age ، وكانا يكونان – وقتئذ – شعبًا واحدًا في شرق أفريقيا ، تفرع بعد ذلك إلى فرعين: الساميين ، حيث عبروا مضيق باب المندب إلى الجزيرة العربية ، أما النوع الثاني: الحاميين فكون الحضارة Civilization في حوض نهر النيل[١].

وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية ما يؤكد هذا المعنى ، حيث أوضحت أنه قديمًا ، وعبر مرحلة تمتد إلى ما يقرب من أربعمائة ألف عام ، كان يقطن وادي النيل شعوب من أفريقيا ومن آسيا الغربية ، والذين صنعوا ، وصاغوا حضارة مصر القديمة.. وقد أدى الاتصال السكاني والتفاعل البشري «القديم» إلى حدوث تقدم من مصر ساهم ولا شك في صنع حضارتها القديمة[٢].

(١) د. فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر ، دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر، الهيئة العامة للكتاب ، عام ١٩٨٥ ، ص ١٧.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص ١٨.

ويرى جمال حمدان (١٩٢٨ – ١٩٩٣) أن شعوب المنطقة – قبل العرب والإسلام– هم أساسًا وأصلًا أقارب انفصلوا جغرافيًا ابتداء من العراق إلى الشام إلى الجزيرة العربيّة ، وحتى مصر إلى الغرب أو السودان والتوطن المحلي والمؤثرات الدخيلة الموضوعية ، والتزاوج الداخلي ؛ الذي حدث بعد ذلك لا يمكن أنّ ينتج أكثر من ابتعادات محلية ضئيلة لا تغير بأي حال من الأحوال من وحدة الأصل الدموي ، وتجانس العرق Race في كثير ، وإن تطورت اللغات والألسن ما بين سامي وحامي ؛ حيث يظل العالم العربي Arab World أو بيت العرب الجغرافي الكبير هو: «دوار العرب» ، بمعنى الأسرة الموسعة، التي تضم عدة أسر نووية أو خلويّة[1].

– فقد أظهرت الآثار القديمة التي خلّفها الإنسان في العصر الحجري القديم «الباليوليتي» في فلسطين تشبه إلى حد كبير الآثار الفخارية ، التي تعود إلى ذلك العصر في منطقة الجبل الأخضر في الجماهيرية الليبية ، وبالانتقال أيضًا إلى مراحل أخرى من التطور الحضاري ، نلاحظ – كما يذكر خالد إبراهيم عربي – تأكيدات أخرى على الروابط والتفاعلات ، التي كانت تقوم بين أجزاء المنطقة والحضارات Civilization ، التي قامت فيها ، فإضافة إلى العلاقات والروابط والتفاعلات الحضاريّة ، التي كانت تقوم بين حضارة وادي النيل وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام، نجد أيضًا أن هناك ارتباطًا حضاريًا وثيقًا قام بين حضارة وادي النيل وحضارة الصحراء الليبية من جهة ، وحضارة الجزيرة العربية من

(١) د. جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ، الجزء الرابع ، دار الهلال ، طبعة ١٩٩٥، ص٦٣٤.

جهة أخرى.. الأمر الذي يؤكد – كما يذكر عربي – على عدم وجود الانفصال أو الانفصام الحضاري إلا في عقول وأذهان وسخائم أعداء العروبة وحضارتها[1].

– ويذكر فؤاد المرسي خاطر في هذا الشأن : أن التأثير العربي أو السامي يعود إذن إلى العصور الموغلة في القدم التاريخي قبل عصر الأسرات ، واستمر هذا التأثير الفعال – دون انقطاع – في مختلف العصور والحقب التاريخية ، وكانت الهجرة العربية عاملًا حاسمًا في هذا المجال ، وقاطعًا في الدلالة ؛ حيث أن الهجرات العربية (السامية Samite) ، التي خرجت من الجزيرة العربيّة ؛ حيث الظروف المناخية شديدة الوطأة ، والبيئة بطبيعتها كانت طاردة للسكان والبشر ، وكان اتجاهها نحو مصر ، وأهم هذه الهجرات قاطبة : موجة الهجرة الأولى في عصر ما قبل الأسرات Prefamilies period سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريبًا.. ومن خلال استقرار هذه العناصر السامية (العربية) في مصر ، واختلاطها بسكانها تكون الشعب المصري في عصر ما قبل الأسرات Perfamilies Period ، ونتيجة لهذا التزاوج البشري ، والتلاقي الإنساني ، التي حدثت بين العرب والمصريين تكونت حضارة الدولة الأولى – في مصر القديمة – ويرى بعض الباحثين المختصين بالتاريخ القديم: أن الملك مينا (نارمر) ، الذي وحد مصر في دولة واحدة ينتمي إلى هذه العناصر العربية (السامية)[2].

---

(1) خالد إبراهيم عربي: القوميَّة العربيَّة قبل الإسلام ، دار الملتقى للنشر، ليماسول، قبرص ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ، ص١٨ ، ١٩.

(2) فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ، ص١٩.

- وهناك ثمة حقيقة لغوية - كما يذكر جمال حمدان (١٩٢٨ - ١٩٩٣) تؤكد وجود علاقة القرابة « فالثابت المحقق الآن أن اللغة المصرية القديمة، وهي حامية تصنيفًا كانت تشمل نسبة هامة من المؤثرات والكلمات السامية ، وقد أثبت البعض اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين المصرية والعربية»[١].

- كما أن هناك ثمة اعتراض واتجاه صحيح - كما يقول خالد إبراهيم عربي - أخذ يتزايد في الآونة الأخيرة على أن : « النظرة السامية» هي فرضية خاطئة ، وعلى أن اصطلاح: «الأقوام العربية» هو اصطلاح أكثر تمشيًا مع الواقع التاريخي والعلمي ، ومن أبرز من اعتمد هذه التسمية وأصر على أنها «الأقوام العربية» بدلًا من إطلاق اصطلاح «الأقوام السامية» للدلالة على سكان المنطقة العربيّة الدكتور جواد علي في سِفره الكبير والقيم «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام».. ومن الملاحظ - كما يذكر عربي - أنه يطلق لفظ عربي على جميع سكان الجزيرة بغض النظر عن الزمان والحقب التاريخية التي عاشوا فيها ، والمكان الذي وجدوا فيه سواء أكانوا سكانًا في المناطق الشمالية أم في المناطق الوسطى من الجزيرة العربية أم في المناطق الجنوبية منها، مع ملاحظة أنّ هناك من يعترض على اعتبار هؤلاء السكان هم وحدهم العرب القدماء[٢].

- وقد ذكر عديد من العلماء الغربيين على أنّ منطقة أفريقيا ما هي إلا عربية الأصل نتيجة الهجرات العربية القديمة ، أي أن هناك اتصالًا وتزاوجًا كبيرًا بين الأفارقة والعرب - قبل الإسلام - فيذكر دولار جلاوزر أن أصل الأجناس

(1) جمال حمدان : شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان ، الجزء الرابع ، دار الهلال ، ص٦٣٦.

(2) خالد إبراهيم عربي : القومية العربيّة قبل الإسْلَام ، دار الملتقى ، قبرص ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣، ص٢٠.

من جنوبي الجزيرة العربيّة هاجروا إلى العدوة الأفريقية لأسباب كثيرة منها: استيلاء البريثيين على سواحل بلاد العرب الشرقية[1].

- ويرى هومل Hommel أن الحضارمة القدماء أقرب العرب الجنوبيين إلى الحبشة الجنوبيين بدليل تقارب اللهجة الحضرمية القديمة المبنية في المسند واللغة الحبشية .. وقد أطلق اليونانيون على الحبشة وعلى مناطق واسعة - كما يذكر بعض الباحثين - لا تدخل في الحبشة اليوم تشمل جنوب مصر وسواحل أفريقيا المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي جنوب بلاد العرب، وهي تقابل لفظ كوش الوارد في التوارة ، مما يدل على أن الاتصال والتلاقي كان وثيقًا من قديم الزمان بين الشعوب التي تسكن هذه النواحي[2].

- ويبين جمال حمدان (١٩٢٨ - ١٩٩٣) أن مصر قد عرفت - قبل ظهور الإسلام - فرعي العربي الكبيرين : القحطانيون الزرّاع كانوا يعبرون البحر ويستقرون في منطقة وادي النيل ، ويختلطون بسكانه ، والعدنانيون كانوا يجوبون الصحراء الشرقية كبدو رحل ، ولهذا لم يختلطوا كثيرًا بالمصريين ، وهم الذين حاربوهم الفراعنة طويلًا ، ومعنى ذلك فإن : «تعريف مصر سبق في بدايته الفتح الإسلامي والعصر الإسلامي، وإنه قديم في مصر ، مثلما كان قديمًا في السودان ، وإن كان الفتح نفسه هو الخطوة الحاسمة»[3].

إذن: فالقول - كما يذكر حمدان - بأن مصر الفرعونية أصلًا عربية مصاهرة قد يكون منطقًا «جاهليًّا» - منطق ما قبل الإسْلام - يعني نوعًا من الردة

(1) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، بدون تاريخ ، ص١٢٤.

(2) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، ص١٢٥.

(3) جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ، دار الهلال ، الجزء الرابع ، ص٦٣٦.

التاريخية تنسب الابن إلى الجد دون أبيه ، أو قبل أن تنسبه إلى أبيه ، وإنما الأصح أن نقول: أن مصر الفرعونية بالجد عربية بالأب ، وكل من الجد والأب من أصل جد أعلى واحد مشترك ، غير أن العرب هنا وقد غيروا ثقافة مصرهم للدقة والتحديد «الأب الاجتماعي» في الدرجة الأولى ، وليسوا «الأب البيولوجي» إلا في الدرجة الثانية، حيث كانوا بالضرورة أقلية عددية جدًا بالقياس إلى المصريين[1].

(1) جمال حمدان : مرجع سابق ذكره ، ص٦٣٧.

obeikan.com

٢

مرحلة الفتح العربي الإسلامي

ولكن منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر في عام ٦٤١م تطورت علاقة مصر- المجتمع بالدولة – بالفكرة العربية، والتي تعرف بمرحلة تعريب المجتمع، وتعرفه على اللغة العربية وثقافتها، والتحول إليها، والتوجه لاستعمالها، وارتبط بتلك المرحلة التاريخية تحول مصر أيضًا إلى الدين الإسلامي والانفتاح على منطقة الشرق المسلمة[1].

- لقد كان التطور الفكري الذي أحدثه الفاتحون العرب لمصر ولبلدان مشرقية أخرى نتيجة لعاملين مهمين: أحدهما ديني محض، والآخر اجتماعي في جوهره.. ومع أن العاملين – كما ذكر حسن أبو طالب – مضيا في طريقين متوازيين غير أنهما كانا متميزين ويختلف أحدهما عن الآخر اختلافًا كبيرًا في نقطتي البداية والنهاية.. يمثل الأول في الدعوة إلى الإسلام، ونشره بين المصريين، فاستطاعت العقيدة الجديدة، التي دعا إليها النبي محمد ﷺ أن تبدل في الحياة الروحية لملايين الناس الذين اعتنقوها وحرصوا على الإيمان بها، وتمثل العامل الثاني في التعريب وكان له مظهران: أحدهما التعريب اللغوي، حيث أخذ أهل البلاد المفتوحة يكتسبون اللغة العربية الجديدة بالتدرج، حتى حلت محل لغتهم الأصلية.. والثاني التعريب العرقي الحاصل نتيجة الهجرة الجماعيّة

(١) د. حسن أبو طالب: عروبة مصر بين التاريخ والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٤، ص١٣.

الكبيرة من القبائل العربية الخالصة إلى تلك البلاد وحدث التزاوج بأهلها والتلاقي البشري ، ومن ثمّ اختلط الدم العربي ، وامتزج إذن بالدماء المصرية ، بل غلب الأول على الثاني في بعض الأحوال[1].

– على أن أهم نتائج الفتح العربي الإسلامي لمصر بصورة محددة – كما يذكر فؤاد المرسي خاطر – هو أنه بلور صراحة مقومات وأسس انتماء مصر إلى الأمة العربية ، وهي بصفة عامة – مقومات الأمة العربية – فبغض النظر عن عنصر الأرض والجنس Genera والذي ثبت تاريخيًا في مرحلة ما قبل الإسلام ، والذي لم يعتبره المنظرون القوميون العرب مقومًا أساسيًا في تكوين الأمة العربية – أدى الفتح العربي الإسلامي إلى توفير مقوم وحدة اللغة ، حيث تحولت بصورة كلية إلى اللسان العربي وأيضًا وحدة العقيدة الروحية ، فمع نهاية القرن الرابع الهجري اعتنق غالبية المصريين العقيدة الإسلامية بما تتضمنه من قواعد وسلوك وطقوس وتقاليد.. وقد تجمع بالفعل نتيجة وجود هذا المقومان ليؤديا إلى توفير مقوم وحدة الثقافة ، فوحدة اللغة والعقيدة أديا إلى توحيد مصر ثقافيًا مع البلاد العربية[2].

– وكان لهجرة بعض القبائل العربية إلى مصر – بعد الفتح الإسلامي – دور مؤثر في هذا الاتجاه؛ حيث كان من جراء هذه الموجات المتلاحقة لهذه الهجرات؛ أن تطبعت مصر بطابع العروبة... وحسب بعض التقديرات البحثية ، فقد بلغ عدد القبائل والبطون التي هاجرت من الجزيرة العربيّة ، واستقر بها المقام في

(1) د. حسن أبو طالب : مرجع سابق ذكره ، ص١٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام ١٩٨٥، ص٢٣.

مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للفتح العربي الإسلامي ٢٤٤ قبيلة وبطنًا، منها: ١٠٠ قبيلة و١٤١ بطنًا، ٣ تجمعات، خاصة أن القبيلة كانت تحرص على إبقاء صلاتها بقبائل الجزيرة العربيّة والشام؛ حيث لم تتم الهجرة القبائلية بكامل أعدادها، وهذا خلق عاملًا مساعدًا على وجود التواصل، وصلة بين مصر والأقطار العربية، التي منها هذه القبائل... ومن هذه «القبائل» العربية: «قبائل العليقات، والجعافرة، والكنوز، والتي استقرت بين قوص والسودان»، وأيضًا قبائل: «الهوارة، وجهينة، والعبايدة، وقد استقرت بين قوص، وأسيوط، والسلوم، وكذلك قبائل: «الحويطات، والسناري، والنبعات، استقرت بين أسيوط والعريش»[1].

- وقد شهدت الأراضي العربية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربيّ في العصرين الأموي والعباسي إمبراطورية عربية واسعة الآفاق، ثم قامت الدولة الفاطمية، والتي امتدت رقعتها الجغرافية، وشملت مصر والحجاز وسوريا حتى تونس والمغرب الأقصى، وضمت الدولة الأيوبية: مصر، وسوريا، وامتدت دولة المماليك من الحجاز إلى مصر مرورًا بسوريا، ولبنان، وفلسطين، ويعتبر بعض المؤرخين أن تكوين الجماعة العربية، وانصهارها حصل في القرنين الحادي عشر، والثاني عشر الميلاديين، أي: التكوين القومي للأمة العربية، وانصهارها كان قد سبق ولادة القوميات الغربية الأوروبية[2].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره، ص٢٢.

(2) عدنان حسين: العامل القومي في السياسة المصرية، دار الوحدة، بيروت، طبعة عام ١٩٨٧، ص١٩.

٣

الفكرة العروبية في مصر في العصر الحديث

مما لا شك فيه أنّ عروبة مصر حقيقة مؤكدة ، لا خلاف حولها ، ولا جدال بشأنها، أما الفكرة العربية – في مصر – بمعنى أن الإحساس بالذاتية العربية في مصر ، والوعي بالانتماء للأمة العربية، والعمل من أجل تأكيده ، جاء في وقت متأخر بالمقارنة بعدد من أقطارنا العربية ... كما أن الفكرة القومية العربية ذاتها قد ظهرت متأخرة في أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين أولًا كرد فعل للسياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية ، أو في مواجهة القومية التركية (التتريك) ، هذا رغم أن الأمة العربية تكونت قبل ذلك بكثير ؛ حيث اتضحت معالمها ، وتحددت حدودها في عصر الدولة الأمويّة ... ويتفق معظم الباحثين على أن هناك عوامل قوية هي التي أدت إلى تأخر ظهور الفكرة العربية في مصر – خلال العصر الحديث – وهي :-

١ - **كان من أخطر نتائج الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١)** : هو أنها فجرت تيار المصرية الإقليمية ، وأعادت للمصريين مرة أخرى شعورهم بشخصيتهم الذاتية المستقلة ، إحياء لما قبل الفتح العربيّ الإسلامي .. فقد خاطب نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١)

المصريين على أنهم أمة متميزة في العراقة[1].

٢- **ثم جاء عهد محمد علي باشا** (حكم من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨): ليضيف جديدًا من العوامل في تأخر ظهور الفكرة العربية في مصر، رغم محاولاته إقامة دولة عربية كبرى، فيعزى لمحمد علي (١٧٦٩ – ١٨٤٩): قيام الدولة المصرية الحديثة، والتي ارتبط بها ظهور فكرة القوميّة المصريّة، وظهرت بوادرها منذ الحملة الفرنسية (١٧٩٨ – ١٨٠١)، وأكمل عملية تهيئة المناخ لاستكمال فكرة محمد علي باشا (١٧٦٩ – ١٨٤٩)[2].

٣- **وجاء الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢** : ليضيف بعدًا آخر إلى العوامل التي أدت إلى تأخر ظهور الفكرة العربية في مصر، فإلى جانب العزلة النسبية، التي فرضتها معاهدة ١٨٤٠، والتي أبعدت مصر عن باقي البلاد

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر، ص٣٤.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره، ص٣٨.

العربية ، زاد الاحتلال الإنجليزي لمصر من هذه العزلة.. كما أثر الاحتلال الإنجليزي لمصر في إضعاف مقوم أساسي من مقومات الفكرة العربية ، وهي اللغة العربية ، فقد عمل الاستعمار Colonialism من إقصاء اللغة العربية من دواوين الحكومة والشركات[1].

٤- ويضيف بعض الباحثين بعدًا آخر في تأخر الفكرة العربية في مصر ، وهو : دور عدد من السوريين في تحويل أنظار المصريين عن «الفكرة العربية» ؛ حيث بدءوا بمساعدة الحملة الفرنسية ، والعمل لحسابها ضد المصريين، وكان دورهم بارزًا في عهد محمد علي (حكم من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨) ؛ لوجودهم في مناطق نفوذ في مصر.

- **ويرى حسن أبو طالب** : أن فكرة الثلاثينيات (من القرن العشرين) قد بدأت بالفعل في تعريب مصر السياسي ؛ حيث تبلورت وضعية الفكرة العربية كمذهب سياسي تدريجيًا ، كمجدد لعلاقات مصر بالمحيط الإقليمي المباشر ، وهو ما ظهر في تكوين الجمعيات ، والمنظمات ، والأحزاب السياسية Political Parties ، التي دعت إلى ارتباط خاص بين مصر والبلدان العربية ، وفقًا لاعتبارات وحدة اللغة ، والثقافة ، والمصير ، وهي الأفكار التي مهدت فيما بعد إلى تبلور أيدلوجيًا القوميّة العربيّة ، كمحدد رئيسي لعلاقات مصر العربيّة والدوليّة ، كما عبرت عنه الحقبة الناصرية أبلغ تعبير[2].

(١) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، ص٣٨.

(2) د. حسن أبو طالب : عروبة مصر بين التاريخ والسياسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٤، ص١٣.